مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

نقد التوجه الفلسفي المعاصر

من أفق الفضاء العالمي إلى القومية اليقظة عند طه عبد الرحمان

A critique of the contemporary philosophical trend from the horizon of global space to the awakened nationalism of Taha Abdel Rahman

أحمد بامو

جامعة العقيد أحمد درايعية، أدرار، الجزائر

bam.ahmed@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/20 تاريخ القبول: 2025/09/17 تاريخ النشر: 2025/09/30

المؤلف المراسل: أحمد بامو ، bam.ahmed@univ-adrar.edu.dz

الملخص:

تتعرض محاولة نقل التراث الفلسفي الغربي إلى الكثير من الفلسفات، إلى جملة من الانتقادات العلمية، التي ترى فيه مبالغة نحو الكونية، على حساب القومية، التي تقدم الفكر باعتباره ترجمة للخصوصية، التي تعبر عن قيم فكرية ودينية وثقافية وتطرح الكثير من التساؤلات والاستشكالات الكفيلة بمعالجة القضايا الراهنة، حيث يتناول هذا المقال رؤية المفكر العربي طه عبد الرحمان عن الفلسفة العربية الإسلامية وقدرتها على تجاوز المفهوم الغربي في معالجة القضايا الفكرية والثقافية من خلال المعاني القرآنية ومصطلحات البيئة العربية الناتجة عن الثقافة المحلية، لان الكثير من القضايا الفكرية التي تعالج اليوم وفق الرؤية الغربية بعيد عن واقعنا وتاريخنا .

الكلمات المفتاحية: التراث، القومية، القطيعة، الخصوصية، المركزية.

Abstract:

The attempt to transfer the Western philosophical heritage to many philosophies, to a set of scientific criticisms, which see it as an exaggeration towards universality, at the expense of nationalism, which presents thought as a translation of privacy, which expresses intellectual, religious and cultural values and raises many questions and problems capable of addressing current issues, as this article deals with the vision of the Arab thinker Taha Abdel Rahman about Arab-Islamic philosophy and its ability to go beyond the Western concept in addressing intellectual and cultural issues through the Qur'anic meanings and terms of the Arab environment resulting from the local culture, because many of the intellectual issues that are addressed today according to the Western vision are far from our reality and history

***Keywords*:** *heritage, nationalism, rupture, privacy, centralism*

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1.مقدمة:

تتعدد الروئ الفكرية والمذهبية داخل الحقل الفلسفي باختلاف الثقافات والأجناس والمصادر المعرفية، التي تشكل حركة الوعي الإنساني، والدفع به إلى التفكير والبحث في القضايا المصيرية في مجال المعرفة الإنسانية بحثاً عن التجديد والحلول، من أجل صناعة بدائل كفيلة بالنهوض في عالمنا العربي والإسلامي، وفي هذا الصدد يقدم المفكر العربي طه عبد الرحمن رؤيته الفكرية حول الأزمة الإبداعية من خلال روح الحداثة (مدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية) بموقف محافظ ورؤية من داخل الثقافة العربية، وبروح عالية، واثقة من التغير والتفسير لواقع مرير يعيشه الفكر العربي المعاصر، يقوم بتشخيص حالة الفلسفة فيه، بداية بالناتج الفلسفي المتداول في الساحة الفكرية العربية، مع أنه ينتقده بشدة من ناحية الهدف المرجو حصوله في واقعنا وثقافتنا العربية باعتبار أن هذا الناتج بعيد كل البعد عن واقعنا وتطلعاتنا، فهو رغم قضاياه الراهنة وأزماته التي يناقشها إلا أنه يتميز بنبرة غربية، هذه الثقافة التي يضعها المفكر المغربي في قفص الاتهام، والشك.

إن واقعنا العربي المعاصر يفتقر إلى مفاهيم، فالحقل التداولي العربي فارغ المحتوى والهدف، فلا تكاد ترسل خطاب يعبر عن آمال أو آلام في قضايا الفكر إلا من خلال المفهوم الغربي يوحي ذلك بأن لغتناً وكياننا الذاتي غائب تماماً في نقل معاناة الفكر ومشكلاته، ولا يمكن الخروج من هذه الأزمة إلا عن طريق العودة إلى الذات العربية كلغة، وكفكر، للتعبير عن همومه و أزماته ومشاكلها، من هنا يمكننا الوقوف على عدة إشكالات وهي :

-ما هي الأسس الحداثية النقدية التي يبني عليها طه عبد الرحمان موقفه من الفلسفة الغربية؟

-كيف يؤسس لرؤية تجديدية من داخل الثقافة الإسلامية لبناء مفهوم فلسفي عربي؟

-ما هي سبل تجاوز المفهوم الفلسفي الغربي لتحقيق الإبداع الفلسفي العربي؟

منهج الدراسة:

تندرج هذه الدراسة ضمن المقالات التي تنقد المعرفة المركزية في الدراسات الفلسفية التي تحاول تقديم بدائل معرفية، تعكس واقع الفكر العربي الإسلامي، وهو ما يفرض علينا تبني **المنهج التحليلي النقدي** من أجل الوقوف على نقد الحجج والبراهين ومحاولة تجاوزها إلى دراسات أكثر منطقية وواقعية تساهم في خروجنا من الواقع المعرفي المأزوم.

2.واقع الثقافة العربية الإسلامية الراهن:

يقول طه عبد الرحمن :"والواقع أن المجتمع المسلم ما لم يهتدي إلى أبداع مفاهيمه، وإعادة إبداع مفاهيم غيره حتى كأنها من إبداعه ابتداء فلا مطمع في أن يخرج من هذا التيه الفكري الذي أصاب العقول فيه"[1]، إن تشخيص الداء حسب طه عبد الرحمن هو ذاتي وعنصر داخلي أكثر مما هو عامل خارجي، أو مقتبس من إي

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

حضارة مهما كان ضغطها وقوتها يقول طه عبد الرحمن: " نريد أن نكون أحرارا في فلسفتنا وليس من سبيل إلى هذه الحرية إلا بأن نجتهد في إنشاء فلسفة خاصة بنا تختلف عن فلسفة أولئك الذين يسعون بشتى الدعاوي إلى أن يحولوا بيننا وبين ممارستنا لحريتنا الفكرية ...ويأتي في مطلع هذه الدعاوي القول بأن الفلسفة معرفة عقلية تشمل الجميع، أي أن الفلسفة معرفة كونية"[2] ، وقد عبر طه عبد الرحمن عن عمق الأزمة الإبداعية من خلال تيارين في الساحة العربية يّدعي كل منهما حسب زعمه إمكانية الخروج من الأزمة وهم على حسب زعمه أهل تقليد أكثر مما هم أهل إبداع وهما (المقلدة المتقدمين، والمقلدة المتأخرين)

1.2–المقلدة المتقدمين :

"يتعاطون إسقاط المفاهيم الإسلامية التقليدية على المفاهيم الغربية الحديثة، كأن يسقطوا مفهوم الشورى على مفهوم الديمقراطية، أو مفهوم الأمة على مفهوم الدولة، أو مفهوم الربا على مفهوم الفائدة، ويتوسلون في هذا الإسقاطات المختلفة بخطاب يريدون أن يكون له صبغة عملية توجيهية، ولكنهم يقعون من حيث لا يشعرون في شرك الوعظ المباشر، وهكذا يصيرون على التدرج إلى رد المفاهيم المنقولة إلى المفاهيم المأصولة، فينتهون بمحو خصوصية المفاهيم المنقولة"[3] ، يزعم هذا التيار أنه يوازي بين الوافد والأصيل من المفاهيم بغية التعايش والتقارب بين الحضارتين، غير أن ذلك من منظور طه عبد الرحمن يوقعنا لا محالة في تقليد الغالب وانتصار المفاهيم الوافدة على المفاهيم الأصيلة وينتهي الأمر إلى محو و إقصاء المفاهيم الأصيلة والاندماج التام في مفاهيم وثقافة الآخر التي تحتمي بالقوة والغلبة وهكذا يتم القضاء على الخصوصية المفاهيمية للثقافات المحلية .

2.2– المقلدة المتـــأخرين:

" يتعاطون إسقاط المفاهيم الغربية المنقولة على المفاهيم الإسلامية المأصولة، كأن يسقطوا مفهوم العلمانية على مفهوم العلم بالدنيا، ومفهوم القطيعة على مفهوم الحب، ومفهوم الحرب الدينية على مفهوم الفتح ويتوسلون في هذه الإسقاطات المختلفة بخطاب يريدون أن تكون له صبغة عقلية استدلالية، ولكنهم يتعثرون على خلاف ما يظنون في القيام بشروطها، وهكذا يصيرون على التدرج إلى رد المفاهيم المأصولة إلى المفاهيم المنقولة فينتهون بمحو خصوصية المفاهيم المأصولة"[4]، لا يمكن أن تكون هناك نتائج ايجابية حسب طه عبد الرحمن للتيار المقلدة المتقدمين في قيام تقدم أو إبداع على أرض الواقع، فالجمهوريات الديمقراطية اصطدمت في الغالب بتيارات الأصولية الإسلامية والخطابات المنفتحة والعلمانية لقيت رفض من المجتمعات باعتبارها مخالفة لعاداتها وتقاليدها وموروثها الإسلامي وبهذه النتيجة خلص أيضا تيار المقلدة المتأخرين إلى الفشل في إسقاط وتبني المفاهيم الغربية عن طريق الوجهة العلمانية المنفتحة، ففي كل المحاولات سنقع في فخ إزاحة المفاهيم المأصولة واندماج المفاهيم المغلوبة في التقليد، لا يمكن تحقيق الإبداع الفلسفي العربي مع هذه النتيجتين السالبتين ولا يمكننا النهوض بواقع الغير وأسبابه وواقعنا في القاع متهاوي " من هنا كان من اللازم البحث عن مقومات الإبداع وشرائط التجديد، من مفاهيم

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

القيم والمناهج والتخلق والتكوثر والاتساع والانتفاع ...وغيرها من المفاهيم التي تدل دلالة قوية على مدى الفاعلية في مواجهة عوائق الإنشاء والابتكار، وهذا لا يتم إلا بالتحرر من آفة التقليد والقدامة التي تكرسها اليوم القيم الأمريكية من إشباع وتخريب ثقافي وتنشيط فكري لا يطاق"[5] .

أن تكون مبدع هو أن تنتج على خلاف ما ينتج غيرك وهو في الإمكان مع الحاجة والظروف المواتية للإبداع، هذه الرؤية تتقاطع من ناحية البنية والمسك مما ذهب إليه الجابري وفق رؤيته المنفتحة على الآخر والتي تشترك معه في كونية الفلسفة وتواصلية العملية الإبداعية هي رؤية إنسانية ومشتركة بين الجميع، غير ان طه عبد الرحمن يواصل دفاعه عن موقفه الأصولي عن خصوصية الفلسفة وقوميتها وهو ما نلمسه في كتابه "الحق العربي في الاختلاف الفلسفي على دحض الأطروحة القائلة بكونية الفلسفة زاعما بذلك أن الخصوصية هي التي تساهم في إبداع أي ثقافة محلية وإعطاءها الحافز والقوة الدافعة من الداخل وهو يسوق لنا جملة من الأدلة و القرائن على موفقه.

3. ارتباط الفلسفة بالسياق التاريخي الاجتماعي :

وهو بذلك يعني أن كل ناتج فلسفي مرهون بتاريخ وزمن معين في مجتمع معين، يتم أشكلته ومناقشته وفق المعطيات الاجتماعية والتاريخية لتلك الثقافة أو الأمة يقول طه عبد الرحمن:" لابد أن تحمل فلسفة الأمة الواحدة الخصوصية التاريخية والاجتماعية لهذه الأمة كما تحمل فلسفة الفرد الواحد خصوصية ظرفه التاريخي ووضعه الاجتماعي"[6] من هذا الموقف ينظر المفكر إلى الخصوصية الفلسفية التي تتضمن الصبغة الثقافية والدينية والفنية لأي أمة من الأمم، فلا يمكن للأمم أن تتطور خارج الإعراض عن منتجوها المحلي والاعتماد الكلي على المنتوج الخارجي، ولهذا يركز طه عبد الرحمن على البنية الداخلية للفكر الفلسفي للخروج من الأزمة الإبداعية وتجنبا للتقليد الذي يسري في جميع مناحي الحياة الثقافية والفكرية.

1.3ارتباط الفلسفة بالسياق اللغوي الوجودي:

لاشك أن اللغة هي حاضنة الوعاء الثقافي لكل أمة من الأمم ولاشك أن هذا اللسان يترجم أحاسيسها و آمالها، وما يظهر من اختلال وتفاوت أثناء الترجمة يوحي بتلك الخصوصية اللغوية وأهميتها الكبيرة في عملية الإبداع الفكري يقول طه عبد الرحمن :"والشاهد على ذلك أننا نلاقي في نقل النص الفلسفي من لغة إلى أخرى صعوبات تضاهي الصعوبات التي نلاقيها في نقل النص الأدبي، لا لضيق متأصل في اللغة المنقولة، وإنما لان أشكالها الصرفية ومعانيها وأساليبها البلاغية لا تطابق أشكال ومعاني وأساليب اللغة المنقول منها فإذن يلزم أن يكون لكل لسان أمة فلسفية اللغة التي تناسب مقتضياته البنيوية والدلالية والبيانية "[7]،يرى طه عبد الرحمن أنه بغير الصياغة العامة للمفهوم لا يمكن أن تصل الفكرة من دون وعاءها الثقافي المحلي الذي يتشارك فيه الوجدان الإنساني، فالتعبير

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

عن المشاكل والعقبات يكمن خلف المعاني اللغوية والدلالات اللفظية، فإذا أردنا التطلع إلى الإبداع فانه يجب علينا تطور اللسان العربي، إذا أردنا فلسفة تعبر بصدق عن مشاكلنا وتترجم واقعنا المحلي.

2.3الاختلاف الفكري بين الفلاسفة :

يؤكد طه عبد الرحمن أن هناك اختلافات بين المفكرين في الأمة الواحدة فما بالك بالاختلاف الظاهر بين الأمم والألسن وهو حاصل وارد فلا يمكن التوافق التام بين الفكر والواقع الا بلغة الفكر ذاتها ،فقد نقوم بجلب أحسن الأفكار وأجودها ولكنها قد لانستطيع العيش خارج بيئتها رغم نجاحها الباهر في محيطها الأصلي، ولهذا فالثقافة المحلية عندما تكون منتجة فإنها تساهم في الدفع بحركة الإبداع نحو الأفضل .

3.3. التصنيف القومي للفلسفة:

هذا التصنيف هو نوع من الهوية الفكرية التي تعطي للفكر طابع معين، ونمط عن كيفية التفكير والتعبير عند الأمم والشعوب، الأمر هكذا منذ بزوغ الفلسفة الأولى فقد وصفت بالطابع القومي :(كالفلسفة اليونانية، والفلسفة المسيحية والغربية والإسلامية)فكلها انطبعت بطابع القومية مما جعل المفكر طه عبد الرحمن يُلح ويؤكد على إمكانية وجود فلسفة عربية ذاتية وأصيلة تعبر عن الهوية والقومية العربية في آليات تفكيرها ونمط العيش " فالحق هو ما يجب للعربي من نصيب فلسفي بحيث ينبغي لغيره أن يقر بخصوصية هذا النصيب الفلسفي، بمعنى أخر فإن العربي يحتاج إلى الاعتراف بالحاجة إلى إيجاد فلسفة يتميز بها من غيره لا تمثل الانقطاع، ولكن تمثل التكامل والإغناء"[8] وهو بالمقابل ينفي عن الفلسفة كونيتها عن طريق أدلته التي يتمسك بها ويرفض عالميتها وهو موفق فريد قل نظيره أو وجوده بين المفكرين والفلاسفة، فالقول بعالمية الفلسفة هو قول ناتج عنده من فكرتين أساسيتين هما:

وحدة العقل البشري، أو عدالة القسمة العقلية بين البشر، ووحدة الطبيعة البشرية، لكن هذه الوحدة لقيت انتقاد كبير من طرف طه عبد الرحمن انطلاقا من ثقافته العربية التي تعبر في الكثير من الأحيان عن وجود فرق كبير في العقل البشري وعن كيفية تلقي المعلومات وترجمتها في الحياة اليومية، فإذا كان العقل البشري المحور الأساسي في عملية التفكير الغربي هو عند غيرها من الحضارات مشترك مع العديد من الملكات في عملية إنتاج المعرفة وإصدار الأحكام عليها، وهو ما يميز ثقافة عن أخرى، وفلسفة عن غيرها، ثم أن القول بعالمية الفلسفة عند طه عبد الرحمن هو طرح سياسي أكثر مما هو معرفي، الغرض منه فرض النموذج الأوربي على الإنسان المعاصر، واعتباره المثل الأعلى، إلا أن هذا القول لم يستطع تجاوز الخصوصية لدى الثقافات والأعراف الإنسانية، هذه الانتقادات التي يقدمها طه عبد الرحمن في مستهل عرضه للمشروع الفلسفي الإسلامي حول النظرة الإبداعية التي يعتبرها مخرجا من حالة الأزمة الفكرية التي يعانيها الفكر العربي المعاصر.

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 806 - 816 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

4.–سبيل الإبداع الفلسفي عند طه عبد الرحمن:

يحرص المفكر كل الحرص على موقفه من خصوصية المعرفة الفلسفية كأحد العوامل الأساسية في الإبداع الفلسفي وهو يبرز أحياننا في قوله: "أن هذا الإنتاج يدور على نفس الاستشكالات والاستدلالات، ونفس المسلمات والنظريات التي يتضمنها الفضاء الفلسفي العالمي المزعوم، أي أنه لا يعدو أن يكون تقليدا لمحتويات هذا الفضاء تقليدا يزيد سوء أو ينقص، يلزم من هذا أن الإنسان العربي في نهاية المطاف يتفلسف بما يخدم عدوه وهو لا يدري"[9] ،إن هذا الانتقاد المعبر عنه بهذه الحدة يضعنا في المواجهة الندية بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية فالحضارتين حسب طه عبد الرحمن على طرفي نقيض، وفي اتجاهين مختلفين الأمر الذي يجعل طه عبد الرحمن يفضل الانطلاقة الفكرية نحو الإبداع الفلسفي من تراثنا الإسلامي ومن عاداتنا وتقاليدنا وواقعنا العربي، باعتباره مصدر إمدادنا بمعطيات أكثر واقعية وأكثر تشخيص عن حالة الأزمة الحضارية التي نعانيها بدل استراد ذلك من قوانين ونظريات لا تمت بصلة إلى واقعنا وحضارتنا، يقوم الأخر بشرعنتها على أنها معرفة عالمية أو كونية في عملية التفكير الإنساني، وهي على خلاف ذلك تمثل قومية من القوميات الإنسانية ساعدتها الظروف المادية عبر تسييس المعرفة الفكرية والإنسانية عن طريق هذا الجسر يحاول طه عبد الرحمن أن يعبر بنا نحو فلسفته الإبداعية بنظرة خصوصية محافظة من خلال المفاهيم التالية:

5.مفهوم القومية اليقظة:

أو ما يسميه (بالقومية الحية)بحيث يقوم هذا المفهوم عند طه عبد الرحمن على أساسيات ثلاثة : القيام، والقوام، والقومة، هذه المصطلحات جميعها توحي بالحركية، أو الحركة المنتجة التي تقوم على هدف معين وغاية معينة يقوم بها المفكر أو الباحث في حركية العمل الإبداعي، ويعني بذلك أن مفهومه هذا ضد حركة السكون والخضوع التام للمفهوم الغربي الذي سبب لنا العجز في شتى المجالات الفكرية، فنحن بحاجة إلى مفاهيم حركية في الحقل الفلسفي يقول طه عبد الرحمن: "إن المفاهيم الفلسفية المنقولة هي أكثر من غيرها عرضة للجمود، وذلك لصيغتها التجريدية التي لا تتأسس على معطيات موضوعية كما تتأسس على تقديرات ذاتية قد تتغير أسبابها أو تبقى ثابتة، والجمود في المفهوم الفلسفي اعوجاج ليس أضر منه على القدرة الإبداعية للمتفلسف"[10] .

يعرج طه عبد الرحمن على حقيقة المصطلح الفلسفي العربي من خلال المفاهيم الأصلية ونزوعها نحو التجريد والمثالية الأمر الذي يجعل المنشغل بالفلسفة العربية في فضاء يملئه السكون، فالمفهوم الفلسفي العربي في حالة كهذه عاجز عن صناعة القدرة الإبداعية وسط حركية العلم ونتائجه، ولهذا يدعوا طه عبد الرحمن إلى حركية المصطلحات التداولية من أجل إعطاء معاني جديدة للفعل الفلسفي أكثر حيوية وحركة تماشيا مع متطلبات النهضة المنشودة، يقول طه عبد الرحمن :" أن القيم التي بمقدورها أن تخرج المفاهيم الفلسفية من الجمود وتدفع عنها مضرته، وكذا أن تبعث فيها الحركية وتجلب إليها منفعتها هي القيم التي من شأنها أن تحقق القومية الفلسفية، ولا

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

حصول لهذه القومة بغير القيم العملية القومية، فقد ظهر أن القيم لا تفتأ تمد العمل الجماعي المتواصل والمتجدد بروحها وتوجيهها، كما لا تفتأ تستمد من هذا العمل فاعليتها وقدرتها على إنتاج قيم جديدة فاعلة ومنتجة مثلها"[11] يحرص طه عبد الرحمن كل الحرص على نقل المفاهيم الفلسفية العربية من ساحة المثل والتجريد إلى فضاء العمل والتداول، فالجمود الفكري الذي يصاحب الأزمة الفلسفية العربية هو نتيجة لعدم الحركة التي يفتقدها المفهوم العربي وعلاقته بالواقع المعاش.

إن الفلسفة التي لا تلامس الواقع وتعالج مشاكل المجتمع لا يمكن أن تحقق واقعيتها ومكانتها ضمن المعارف المطلوبة في الوقت الحاضر وسط تقدم العلوم، ونهضتها الشاملة، فمهما كانت مستويات الخطاب الفلسفي كونية فإنها لا ترقى إلى الخصوصية في تقريب المعنى العام للمفهوم الفلسفي المجرد ، يقول الأستاذ محمد الشبة:" وإذا كان الخطاب الفلسفي يترع إلى ما هو كلي وكوني مادام خطابا عقليا وحجاجيا، وبرهانيا، فأنه لابد أن تتلون هذه الكونية بعناصر مستمدة مما هو قومي وخاص حتى يكون بإمكانها أن تصل إلى ذهن المتلقي الذي ينتمي إلى مجال تداولي مختلف عن باقي المجالات التداولية الأخرى، وهكذا يكون بإمكان التعبير الاشاري الذي يستند إلى أساليب تخيلية ووجدانية أن يعي ويوسع من أفاق التعبير العباري الذي يعتمد على أساليب عقلية معرفية"[12]

6. نقد وتجاوز أطروحة طه عبد الرحمان:

هذه الرؤية الفلسفية سرعان ما تعرضت لنقد حاد وحجج تفند هذه المزاعم الخصوصية "اعتبر إدريس هاني أن أسبقية تقديم طه عبد الرحمن لمشروع نقد العقل العربي، وأفضليته هو قول مردود عليه، إذ سبق إلى ذلك لفيف من النقاد والباحثين العرب الذين كانوا أكثر جرأة في نقدهم لمشروع نقد العقل العربي، بل أكثر من ذلك اعتقد الباحث أن ملهم مشروع فقه الفلسفة هو مستوحى من هؤلاء الذين دشنوا نقد العقل العربي مع الفارق الشكلي طبعا"[13]، لم يكن طه عبد الرحمن السباق لمثل هذا النقد حسب إدريس هاني وإنما سبقه إلى ذلك أولائك الذين اعترض على أفكارهم وظنها مستقاة كلهم من الخارج وعلى رأسهم اصحاب رؤية العقل العربي المفكر محمد عابد الجابري وفي هذا الصدد يقول إدريس هاني:" أرى أن د. طه عبد الرحمن قاس على ثلاثية البيان والبرهان والعرفان كمحددات للعقل العربي، فجعل المجال التداولي خاضعا لثلاثية اللغة والعقيدة والمعرفة، يمكنك القيام بمقارنة فستجد أن اللغة في المجال التداولي هي مقايسة على البيان في بنية العقل العربي، كما أن المعرفة جاءت مقابل البرهان والعقيدة مقابل العرفان، وليس المجال سوى مقايسة على بنية العقل البرهاني "[14].

لقد وقع طه عبد الرحمن من حيث لا يدري في تكرار المفاهيم واقتباسها ليس من الحقل الأوربي بل من الحقل العربي فمعظم المفاهيم الفلسفية عند الجابري أعاد طه عبد الرحمن صياغتها بطريقة أكثر خصوصية واقرب إلى الطرح الإسلامي منها إلى الطرح المنفتح ناهيك عن التناقضات التي وقع فيها طه عبد الرحمن والمغالطات في المفاهيم الإنسانية التي ساقها في مجال الخصوصية الإسلامية وهو الأمر الذي لقي اعتراض شديد من

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

طرف المفكر اللبناني ناصيف نصار الذي ينظر إلى الإبداع الفلسفي بطريقة شمولية وان الظاهرة إنسانية في تواصلها بين الأجيال والحضارات يقول ناصيف نصار :"أن كل فلسفة كائنة ما كانت هي نتاج سياق تاريخي ونطاق اجتماعي مخصوص وهي مغالطة كبيرة يرتكز عليها طه عبد الرحمن عندما يقابل الكونية بالتاريخية والأصح هو مقابلة الكونية بالخصوصية بينما تقابل التاريخية بالدوامية والثباتية، و"ناصيف نصار " يميز بين نشاط الإنسان الذي يتسم بالتاريخية والخصوصية وماهيته الثابتة والدائمة والعامة والكونية، الفلسفة كنشاط انساني تاريخي تتأثر دونما شك بالخصوصية الاجتماعية التي تحيط بها، ولكنها ليست نتاجا لهذه الخصوصية على قانون العلة والمعلول، فالفكر الفلسفي يتجه في تاريخيته نحو الماهية الإنسانية ونحو المبادئ الأخيرة للموجودات و إلى التاريخ نفسه، ونحو الوجود بإطلاق ويرتقي بذلك إلى الكونية"[15] ، فالتقابل بين المفاهيم الفلسفية من أجناس مختلفة يحدث نوع من سوء الفهم عند المتلقي فالتاريخية تعتبر تجلي من تجليات الكونية في لحظة تاريخية معينة ومعنى الخصوصية لا يتعارض مع الكونية في صورها المجردة فمهموم الإنسان يبقى هو نفسه والطبيعة ، الوجود والأخلاق كلها مفاهيم لا تأثر فيها الخصوصية فهي في الأصل مفاهيم شاملة وكونية لا تقف عند ثقافة بعينها وهذه هي جواهر الفلسفة ومفاهيمها الثابتة التي تتفرع عنها أشياء نظن أنها خاصة بثقافة دون أخرى أو جهة دون سواها إلا أنه في النهاية يأبى الخطاب الفلسفي إلا أن يكون إنسانيا، كما قدم ناصيف نصار اعتراضا آخر حول زعم طه عبد الرحمن حول فلسفة العصور الوسطى أنها فلسفة لم تراعي الخصوصية الإسلامية وأقبلت بالكلية على التراث اليوناني بالترجمة ظنا منها انه تراث عالمي ومنطقي وفي الحقيقة هو اقتباس قديم يشبه إلى حد كبير الاقتباس الذي حصل في عصرنا ، هذا الموقف لقي اعتراض كبير من طرف عدد كبير من المفكرين الحداثين ومفكري النهضة العربية على حد سواء يقول "ناصيف نصار":"ففي القرنين الماضيين حاول الفكر العربي أن يسلك دروب الفلسفة، وأنتج تراثا فلسفيا متنوعا لا يرقى إلى المستوى الذي لعبه في العصور الوسطى على أيد أعلامه الكبار، ولكنه أشد التصاقا بالمشكلات الحية التي تعيشها الشعوب العربية في سعيها إلى النهضة والتقدم، وفي الواقع يعاني هذا التراث كثيرا من سوء الفهم وسوء التقدير ليقع في معظم الأحيان ضحية الجهل أو التجاهل أو التصفية والطمس الكامل "[16] ، هذا الموقف يقدمه "نصار" ردا على طه عبد الرحمن الذي يعتبر أن تراث النهضة الحديثة مرده إلى التقليد والاقتباس، أي أن الفكر العربي عالة على غيره من التراث الغربي وعاجز عن فهم قضاياه ومشاكله الاجتماعية والسياسية ويعيش على فتات الحضارة الغربية، الأمر الذي جعل ناصيف نصار يعتبر أن هذا الحكم يحمل نوع من القسوة والتجاهل والتصفية، كما أنه ذو إيديولوجية معرفية منغلقة على نفسها وعلى الواقع مؤكدا على ذلك بأسماء كانت لها مبادرة كبيرة في خلق نوع من الجهد الفلسفي الذي يحسن تثمينه والاستثمار فيه، يقول "ناصيف نصار" :" أن التراث الفلسفي الذي خلفه لنا مؤلفون من أمثال شبيلي الشميل ويوسف كرم وعبد الرحمن بدوي، وزكي نجيب محمود ينطوي على أفكار وأطروحات لها معنى مفيدا جدا بالنسبة إلى عرب اليوم، ولذلك فهو يحتل

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

مكانة لا يمكن إسقاطها من المجال التداولي العربي "[17] إن ما يقر به "ناصيف نصار" لهؤلاي المفكرين ليس من باب المجاملة فقط، فهو تقريبا يختلف مع جل آرائهم الفكرية وأطروحاتهم، ولكنه ينصف الجهد الذي قاموا بتقديمه، ويعتبره إثراء لمسلك النهضة وطريق نحو الإبداع الفلسفي على خلاف ما ينكره طه عبد الرحمن حول هذه المجهودات الفكرية كونها تخدم الطرح الغربي، أو تدعم الكونية والعالمية .

7. خاتمـــة:

نستنتج مما سبق أنه مهما بلغ الخطاب الفلسفي من الكونية من ناحية الخطاب فأنه يبقى على مستوى الفهم والتمثل أقرب إلى الخصوصية التي تكشف عن جوهره، وتحاول تطبيقه حسب معطيات الواقع الخاص بكل أمة من الأمم، حسب طه عبد الرحمن الأمر لا يتعلق بالفكر أو الفلسفة على وجه الخصوص، بل تعداه إلى العلاقة بين الفلسفة والأدب العربي من أجل الدفع بالمفهوم الفلسفي إلى ساحة التداول الفكري، فاللغة العربية لا تزال حية بمصطلحاتها ومفاهيمها من أجل تجديد المصطلحات الفلسفية وحركيتها.

يؤكد طه عبد الرحمن على وجوب انفتاح النص الفلسفي على النصوص الأدبية القديمة والحديثة من أجل إنتاج وإبداع مفاهيم أقرب إلى التداول في الساحة العربية، في مجال الفلسفة والفكر مع وجوب العودة إلى النص الفلسفي العربي الأصيل في تراث الكندي وابن سينا وابن رشد بغية إنتاج مصطلح عربي يحمل الخصوصية المحلية، ويمكنه أن يساهم في طرح ومعالجة القضايا الراهنة، مما يجعل التجاوب مع القضايا الفلسفية الراهنة في المجتمع محل اهتمام واسع خاصة وان العقل العربي مشدود إلى النص المقدس في جميع القضايا الأخلاقية والاجتماعية والتاريخية، وهو الأمر الذي يُعد الركيزة الأساسية في فهم المشروع الفلسفي الإسلامي عند طه عبد الرحمن، فهو يستنطق النص القرآني ويفكك مصطلحاته الفكرية والعملية من أجل الدفع بها إلى ساحة التداول معتبرا بأن النص القرآني يحمل من الدلالة اللفظية والبيانية ما يغني الفرد المسلم ويجعله أقرب إلى بيئته وواقعه المعاش.

إن الدفع بالمصطلح الفلسفي نحو الخصوصية لا ينفي عنه البتة صبغته العالمية أو الكونية من الناحية الفكرية والعقلية، وهذا ما يبدو جليا في الفلسفة اليونانية والفلسفة الفرنسية والفلسفة الألمانية، فهي تحمل خصوصية الهوية المحلية قبل النزعة الإنسانية، وهي نفس النزعة التي تحملها الفلسفة الدينية كالفلسفة المسيحية واليهودية.

أن روح الإبداع الفلسفي لا يكون إلا بالإنعتاق من دوائر التقليد والتبعية بل يكون نابعا من الثقافة المحلية وخصوصيتها وهو ما دفع طه عبد الرحمن إلى مشروع فلسفة إسلامية معاصرة نابعة من القيم الأخلاقية والدينية ولها القدرة على التعايش مع الفلسفات الأخرى.

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

نخلص إلى أن مفهوم الحداثة بالنسبة للمفكر مشروع متعلق باللغة والفكر أكثر من تعلقه بالجوانب المادية والحسية ويمكن لكل أمة أن تصنع حداثة خاصة بها وفقا لمبادئها وقيمها الثقافية ، ويرى في الحداثة الغربية نوع من الحداثة الخاصة وجدت الظروف والنظام العالمي ساعدها على العالمية وفرض قيمها على جميع الشعوب فأين الحق في اختلاف التفكير والقدرات العقلية بين البشر الذي يصنع الاختلاف والتعدد منذ أقدم العصور والحضارات إذا سلمنا بان هناك تعدد في اللغات فانه بالضرورة يؤدي إلى تنوع في التفكير واختلافا في الروئ الثقافية والعلمية وبالتالي يؤدي ذلك إلى ظهور مفاهيم خاصة بكل لغة وثقافة تساهم في تطوير الحياة العلمية والفكرية لتلك الحضارة وهو الأمر الذي يسمح للثقافة العربية بتجديد كيانها الفكري والثقافي الخاص والتعايش مع الوافد من الحضارة الغربية دون اندماج كلي أو إقصاء للذات العربية في عملية التفكير الفلسفي.

8. التهميش:

[1] طه عبد الرحمن ، (2006) روح الحداثة ط 1، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي ص11

[2] جلول مقورة (2015) ،فلسفة التواصل في الفكر العربي المعاصر طه عبد الرحمن وناصيف نصار بين القومية والكونية ،ط1،بيروت لبنان ،مركز دراسات الوحدة العربية سنة 2015،ص 120

[3] طه عبد الرحمن ،روح الحداثة ،ص11،ص12

[4] المصدر نفسه ص 12

[5] يوسف بن عدي (2012) مشروع الإبداع الفلسفي العربي قراءة في أعمال طه عبد الرحمن، الشبكة العربية للأبحاث ة ص 120،119

[6] طه عبد الرحمن(2008)،الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ط2 الدار البيضاء المغرب ، المركز الثقافي العربي، سنة ص 53

[7] طه عبد الرحمن ،الحق العربي في الاختلاف الفلسفي مرجع سابق ص 53،54

[8] جلول مقورة ،فلسفة التواصل في الفكر العربي المعاصر ،مرجع سابق ص 119

[9] طه عبد الرحمن ،الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ،ص66

[10] طه عبد الرحمن الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ، مرجع سابق ،ص74

[11] طه عبد الرحمن ،الحق العربي في الاختلاف الفلسفي ،ص75

[12] محمد الشبة(2016) عوائق الإبداع الفلسفي العربي حسب طه عبد الرحمن ط1، سنة، ص 84

[13] يوسف بن عدي مشروع الإبداع الفلسفي قراءة في أعمال طه عبد الرحمن ص 185

[14] يوسف بن عدي مشروع الإبداع الفلسفي قراءة في أعمال طه عبد الرحمن مرجع سابق، ص 186

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 806 - 816	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[15] جلول مقورة(2015) ،فلسفة التواصل في الفكر العربي المعاصر طه عبد الرحمن وناصيف نصار بين القومية والكونية ،بيروت ،لبنان مركز دراسات الوحدة العربية ط1 ،سنة ،ص 222،223

[16] ناصيف نصار (2011) الإشارات والمسالك ،من إيوان ابن رشد إلى رحاب العلمانية ،بيروت ،لبنان ،دار الطليعة، ط1، ص123.

[17] ناصيف نصار ،الصدر نفسه، ص 123.

9- قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1- طه عبد الرحمن؛ (2006)، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط1، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي.

2- طه عبد الرحمن؛ (2006)، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ط2، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي.

2 - المراجع:

1- محمد عابد الجابري، (1990)، إشكاليات الفكر العربي المعاصر ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، ص 53.

2- برهان غليون، (2006)، اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ،المركز الثقافي العربي، ط4، الدار البيضاء المغرب، ص 278.

3- جورج طرابيشي، (2012)، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، ط3، دار الساقي، بيروت، لبنان ص11.

4- جلول مقورة ،(2015) ، فلسفة التواصل في الفكر العربي المعاصر طه عبد الرحمن وناصيف نصار بين القومية والكونية، ط1، بيروت لبنان ،مركز دراسات الوحدة العربية، ص120.

5- ناصيف نصار (2011)، الإشارات والمسالك ،من إيوان ابن رشد إلى رحاب العلمانية، بيروت، لبنان، دار الطليعة، ط1، ص123.

6- ناصيف نصار، (1988) ، طريق الاستقلال الفلسفي سبيل الفكر العربي إلى الحرية والإبداع، بيروت ،لبنان دار الطليعة، ط3، ص07

7- محمد سبيلا، (2009)، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للنشر والأبحاث بيروت، لبنان ط1، ص 124 .